أبطال بجدّ

حكايات وطنية

تأليف: أ. د. علي راشد

الحائز على جائزة الدولة التشجيعية فى أدب الأطفال

رسوم: أسامة أحمد نجيب

المحتويات

الحكاية الأولى - أروع ابتسامة 3

الحكاية الثانية - أبو الدكتورة 10

الحكاية الثالثة - عم صابر ثائر 18

الحكاية الرابعة - اللحظات المبهرة 24

الحكاية الخامسة - أبي في الميدان 33

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٢٥٩١

الترقيم الدولي: 978-977-716-511-2

جميع حقوق النشر محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته أو نقله على أي نحو وبأي طريقة دون إذن كتابي مسبق من المؤلف

E-mail rashed1944@hotmail.com

محمول: 01005630001

الحِكايةُ الأُولى

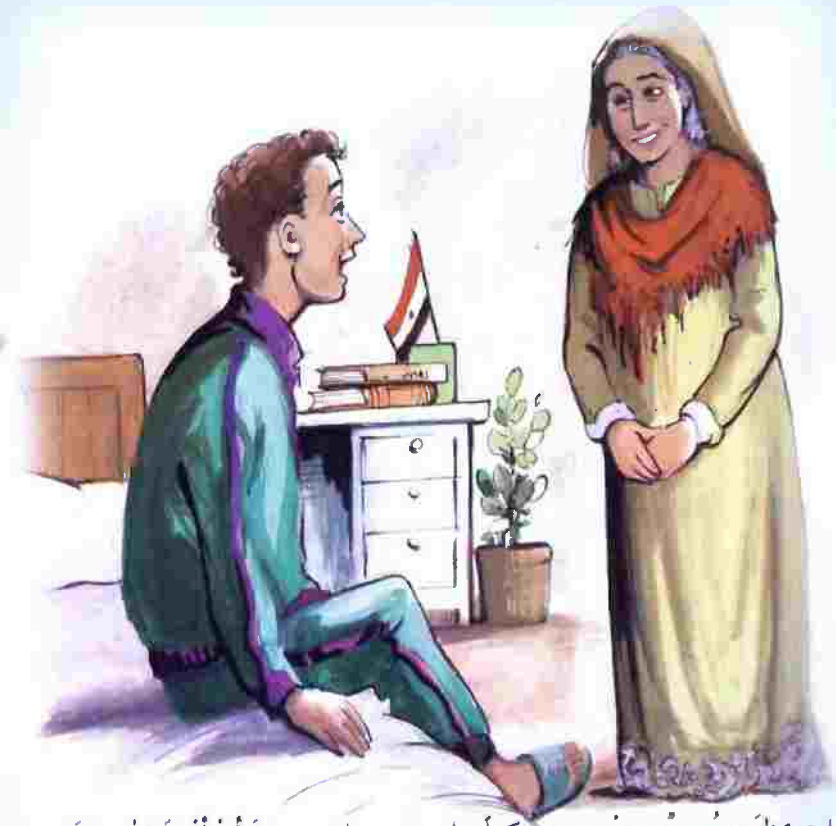

استيقظَ «حُسينٌ» مِنْ نومه مبكراً على غيرِ عادتِه، وبعدَ أنْ أنهى استِعدادَه للخروج مِنْ بَيتِه قالتْ لهُ أمُّهُ :

ـ اليومُ هو يومُ الثلاثاءِ ياحسينُ ، ومُحاضراتُك في كليةِ التجارةِ تبدأ مِنَ الساعةِ

الواحدة ظهراً فلماذا قمتَ مبكراً على غيرِ عادتِك فى هذا اليومِ ؟
ابتسمَ الشابُ لأُمِّه وقالَ :
ـ يأمّى الحَبيبةَ اليومُ هو ٢٥ يناير ٢٠١١، و قَدْ اتَّفقتُ معَ مجموعةٍ كبيرةٍ منْ زُملائى وزَميلاتي ومعارفي على «الفيس بوك» على أنْ نجتمعَ معاً فى هذا اليومِ فى مسيرةٍ سِلْميةٍ لنطالبَ ببعضِ حقُوقنا .
تساءلتْ الأُمُّ :
ـ حقوقٌ !! أيُّ حقوقٍ هذه ياولدى ، أنتَ طَالبٌ فى كليةِ التجارةِ ، وعليكَ أنْ تَجتهدَ وتُذاكرَ دُرُوسَك ، وتَنْجَحَ فى الامتحاناتِ ، وتأخُذَ الشهادةَ ، وبَعدها طالبْ بما تشاءُ منْ حقوقٍ .
ضحكَ «حسينٌ» ضحكةً جعلتْ وَجْهَه الوسيمَ أكثرَ إشْراقاً ، وقامَ وقَبَّلَ وجهَ أُمِّه قُبْلةً ملؤُها الحبُّ والحنانُ والعرفانُ بالجميلِ وقالَ :

ـ يا أُمّى ياحبيبتى ، إذَا لَمْ نُطالبْ بحقُوقنا الآنَ . فلَنْ أجدَ أيَّ عملٍ أو وظيفة بَعْدَ التّخرجِ في الجامعة ، أيُعْجبُك حالةُ البطالة التى يَعيشُها شبابُ مصرَ ، إنّهم بالملايين يا أُمّى ، ولا حياةَ لمَن تنادى لهؤلاء الذين يَحكُمُونَنا ويَعيشون حياةَ الرفاهية والبذخ ، لا يَهُمُّهُم إلاّ امتلاكُ قوة السُّلطة ، وتكْديسُ الأموالِ داخلَ مصرَ وخارجَها .

رَدّتْ الأُمُّ بنَغمة منَ الحُزنِ :

ـ الحَقُّ ما تقولُ ياولدى .. إنّ جارَتنا « أمُّ ماهر » تشتكى طوالَ الوقتِ من أنّ ابنَها مَاهر قدْ تخرّجَ في الجامعة مُنْذُ ثلاث سنوات ، وهُو يجلسُ فى البيت دُونَ عمل ، ومازالَ يأخُذُ مَصرُوفَ جيبه منْ والده .

وبعدَ دقائق خرجَ احسينٌ منْ بيته ، والتقَى بزُملائه كما اتّفقُوا منْ قبلُ ، وسَارُوا فى مَسيرة بدأتْ بالعشرات ، ثُمّ زَادتْ لتُصبحَ بالمئات ، ومَا أنْ وصلو إلى "ميدانِ التحريرِ" حتى صَارُوا بالآلاف ، وهُمْ يُرَدّدُونَ بِصوت مُدَوٍّ شعارات مثلَ :

ـ نُرِيدُ مصرَ حُرّةً ، العيشةُ بَقَتْ مُرّة .

ـ التّغْييرُ التّغْييرُ ، نُطالبُ الآنَ بالتّغْيير.

ـ يَسْقُطُ الفَسادُ والمفْسدُون

وفىالمقابل انتظمَ جنودُ وضباطُ الشُّرطة والأمنِ المركزي بأعْداد تُقدّرُ بعشرات الألُوف في مُحاولة منهم لحصارِ تلكَ المظاهرات وفضّها سلْمياً .

ومِنَ الأمورِ التى أسْعدتْ الجميع عدمُ احتكاك شباب المُتَظاهرين مَعَ رجال الشُّرطة والأمنِ المركزى بلْ إنّهم كانوا يُصافحونَهم مؤكدينَ أنّها مظاهرةٌ سلميةٌ ، ولنْ يَضرُّ المصرىُّ أخاهُ المصرىَ .

ومَرّ هذا اليومُ علَى خيرٍ ، ولمْ يَحدثْ مَا يُكَدّرُ الصّفوَ ، ولكنْ مَعَ

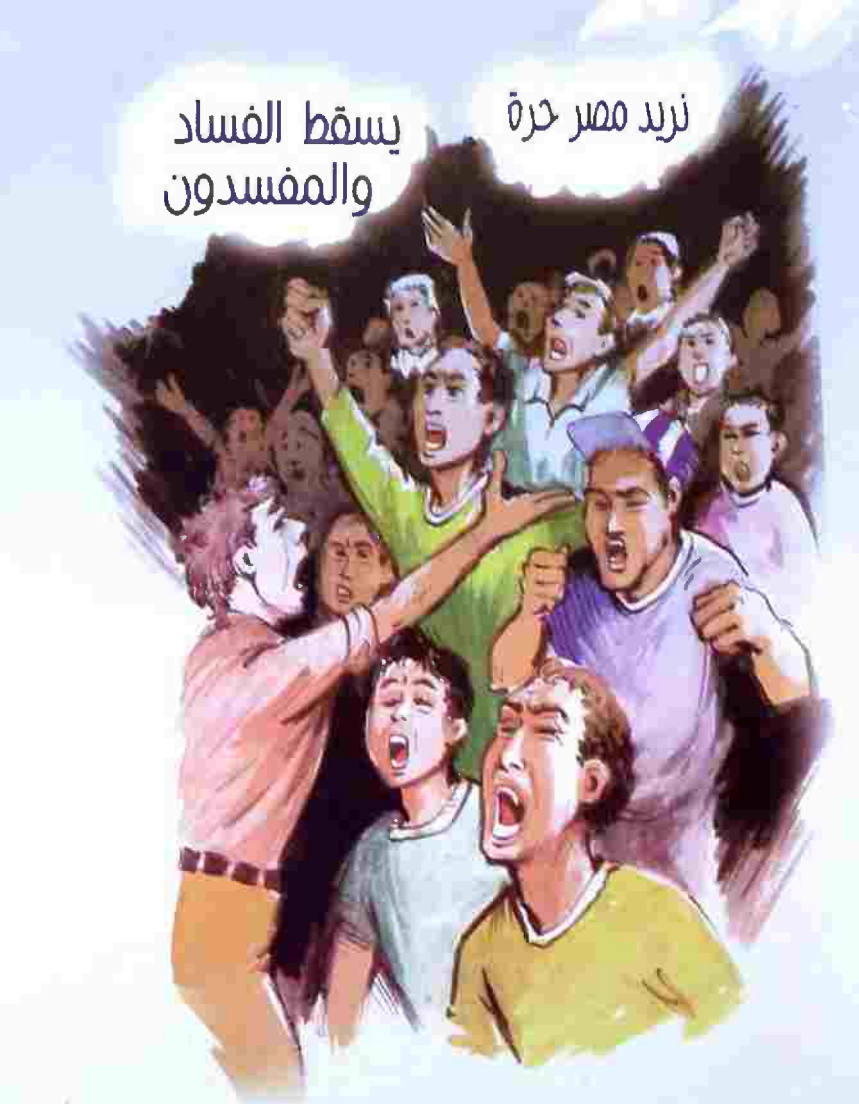

أيَّامَ الأربعاءِ والخميسِ ، زادتْ أعْدادُ المُتَظاهرينَ فى ميدانِ التحريرِ إلى مِئاتِ الألوفِ مِنَ جميعِ فئاتِ الشعبِ وطوائفه وأصبحَ هناكَ احتكاكٌ بينَ الشرطةِ

والمتظاهرينَ ، فَألقتْ الشرطةُ القنابلَ المسيلةَ للدموعِ على هؤلاءِ المتظاهرين، واستخدَموا أيضاً العصيَّ والهراواتِ ، وحَدثتْ إصاباتٌ كثيرةٌ للطَّرفين .

وجاءَ يومُ الجمعةِ ٢٨ يناير ، واتُّفقَ على تَسْميته بـ "جُمعةِ الغضب" من جُموعِ الشعبِ ، وفى صباحِ هذا اليومِ أيقظتْ الأمُّ وَلدَها الوحيد "حُسينَ" وهى تَحثُّهُ على القيامِ والاستعدادِ لأداءِ فَرضِ صلاةِ الجُمعةِ ، ابتسمَ الابنُ لأُمِّه وهَمَسَ :

ـ سَوْفَ أقومُ من رَقْدَتى حالاً يا أُمى ..

قالتْ الأمُّ وعلىَ وجْهِها ابتسامةٌ جميلةٌ :

ـ ولدى حُسينٌ .. لقدْ رأيتُ فى مَنامى الليلةَ البارحةَ رُؤْيا جميلةً جعلَتْنى أقومُ منْ نومى وأنا سعيدةٌ مُستَبْشرةٌ .

ابتسمَ الابنُ وقالَ لأُمِّه :

ـ خيْراً يا أُمَّ حُسينٍ ، ماذَا رأيْتِ فى مَنامِكِ ياستَ الحبايبِ ؟

أجابتْ الأمُّ :

ـ رأيْتَ - اللهم اجعلهُ خَيْراً - والدُكَ يرحَمُه اللهُ وهو يقفُ سعيداً فى ميدانٍ كبيرٍ وهو يُشيرُ بأصبعه إليكَ وأنتَ تقفُ فى الميدانِ نَفْسِه ، وقال لى والدُكَ :

ـ انظُرى يا أُمَّ حُسينٍ هذا ولدُنا الغالى حُسينٌ ..

وعندَما نظرْتُ إليكَ وجدتُكَ ترتدى ثياباً جديدةً جميلةً للغايةِ ، ومنْ حولكَ جَمْعٌ غفيرٌ منَ الناسِ ، وهُمْ يُهللونَ ويُكبِّرونَ ويُصفقونَ لَكَ ..

وأكملتْ الأمُّ حديثها فقالت :

أظُنُّ هذه الرُّؤْيا بشارةً بأنَّك ستَنجحُ في الامتحاناتِ نجاحاً كبيراً، وستَحصُلُ على شهادةِ التخرُّجِ بامتيازٍ إنْ شاءَ اللهُ .

زادَ الابنُ منْ ابتسامته وقالَ لأُمِّه :

إنْ شاءَ اللهُ ياأُمِّى .. إنْ شاءَ اللهُ .

وبعدَ أنْ أدّى الشابُ فريضةَ صلاة الجُمعة في أحد المساجد القريبة منْ بيته ، ذهبَ فوراً إلى ميدان التحرير لينضمَّ إلى الجماهير الغفيرة في جمعة الغضب ، فوجدَ الميدانَ قدْ امتلأ تماماً منَ تلكَ الجماهيرِ الثائرة ، والتي يزيدُ عددُها عنْ المليون ، ولاحظَ أنَ قوات الشرطة والأمنُ المركزي وسياراتها المُصفحة وقد نفَذَ صبْرُها ، وبدأتْ مع إلقائها للقنابل المُسيلة للدُموع استخدامُ الرَصاص المطّاطي ، وتُواصلُ استخدامَها للعصيّ والهرّاوات ، ولم يُقلّلُ ذلكَ منْ عزيمة المُتظاهرين ، والذين كانُو يدافعُونَ عَنْ أنفُسهم ويلقون الحجارةَ على قواتِ الشرطةِ والأمنِ المركزي وهُمْ يهتفون بحماس هتافات متعددة منها :

_الشعبُ يريدُ إسقاطَ النظام .

_ يَسقُطُ النظامُ الفاسدُ .

_ لا استبدادَ بعدَ اليوم .

وهُنا جاءَ الأمرُ لرجالِ الشرطة والأمن المركزي بإطلاقِ الرَصاص الحيّ علىَ المُتظاهرين ، فأنطلقَ هذا الرَصاصُ بغزارة واضحة علىَ هؤلاء المتظاهرين ، ليقتلَ ويُصيبَ منهمْ العشرات .

وتقدّم الشابُ «حُسين» في جسارة مع زميله «باسل» يُقاومان هذا الإجرامَ بإلقاء الحجارة على هؤلاء القتلة وهما يَصْرُخانِ :

_الموتُ للقتلة المأجورين ..

_عاشتْ مصرُ حرةً .

واستمرّتْ هذه الحالةُ لدقائقَ معدودة ، وفي لحظة أصيبَ «حُسين» في قلبه بأكثرِ من طلقة نارية سقطَ على إثرها على الأرض ، واندفعتْ الدماءُ بغزارة منْ صدره لتُغرقَ ثيابَه بالدماء الطاهرة ، فصرخَ زميلُه باسلٌ في

جزع :

ـ حُسينٌ .. حُسينٌ

ولم يشعُرْ البَطل بأيِّ ألمٍ رغمَ أنَّ أصابعَه غرقتْ بدمِه الزَّكيِّ الساخنِ ، وقالَ وهُو يَبتَسِمُ :

ـ لا تخفْ ياباسلُ .. أنَا بخيرٍ

وهنا لمَح «حُسينٌ» أبَاه وهو يُلوِّحُ لهُ بيدِه فى فَرَحٍ وسرورٍ ، وسطَ جماهيرَ غفيرةٍ تُهَلِّلُ وتُكبرُ لَهُ ، وعندما نَظَر البطلُ إلى ثيابِه ، لم يجدْ أى دماءٍ ، بَلْ وجدَ أنَّه يرتدى ثياباً جَديدةً جميلةً للغايةِ .

وقبلَ أن يَغيبَ البطلُ عن الوعْىِ قالَ لصديقِه «باسل»:

ـ قُلْ لأُمِّى أنَّ حُلْمَها قدْ تحقَّقَ ،

فقدْ رأيتُ أبِى وهوُ يُشيرُ

إلىَّ فى سعادةٍ وثيابى

أصبحتْ جديدةً وجميلةً .

وصاحَ البطلُ بصوتٍ واهنٍ:

ـ عاشَتْ مصرُ حرةً ..

ثم نطَقَ بالشهادتينِ

وأسْلَمَ الروحَ لبارئِها

وعلى وجْهِه أروعُ

ابتسامةٍ .

الحِكايةُ الثانيةُ

أبو الدُكتورةِ

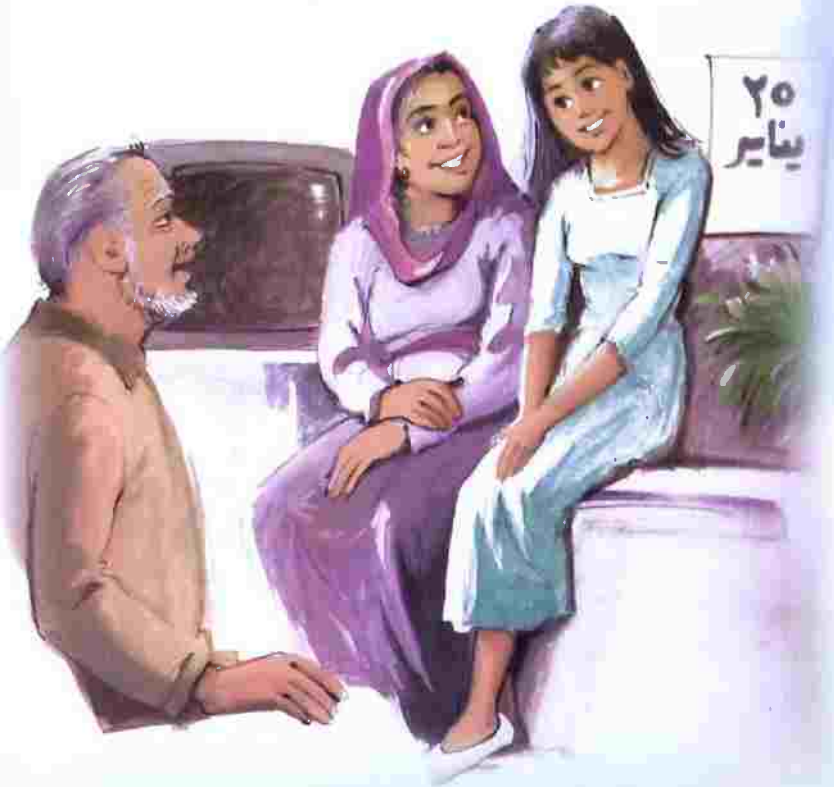

جَلسَتْ رَبَّةُ البَيْت السيدةُ «إحسان» أمَامَ جِهاز التليفزيون وهي تُتابعُ مشاهدَ حيَّةً منْ ثوْرة 25 يناير في مُدنِ مصرَ المختلفة وخاصةً مدينتَها الغاليةَ الإسكندريةَ. وبعْدَ هذه المُشاهدة، ابتسمتْ

السيدةُ في سعادة، وشُعور بالعزَّة والكرامة والتفاؤل يملأ كيانَها، فقالت لزوجها «سالم» المُوَظَّف في مصلحة التأمينات الاجتماعية بمدينة الإسكندرية.

- الحمدُ للهِ يا أبو هالة، بعْدَ كُلِّ هذا العمر، وهذا العناء، وتلكَ الحياة الشاقَّة، ستعود بلادُنا لنا، وتنقشعُ هذه الغُمَّةُ.

ابتسمَ سالمٌ وقال:

- نَعَم يا أُمَّ هالة، لم نكنْ نشعُر أنَّ هذه هيَ بلدُنا، بلْ بلَدُ هذا الفاسد هُو وكلُّ مَنْ يعاونُه على الفساد ، مَنْ كان يصدقُ بعد كلِّ هذه السنوات العجاف أنْ يأتي الفرَجُ وتقومُ هذه الثورةُ المباركةُ على أيدي شباب مصرَ المستنير.

قالتْ ابنتُها هالةُ -بنتُ السابعة عشرَ ربيعاً - في فرحة وافتخار:

-الآنَ، والآنَ فقط تمَّ الاعترافُ بنا نحنُ شبابَ مصرَ الواعدَ، ومنْ قبل كُنْتم تقولون علينا إنَّنا جيلُ «النْت والفيس بوك»، أليْس كذلك يا أُمِّي الحبيبةَ، وأنْتَ يا أبي العزيزَ ؟

ضَحكتْ الأُمُّ وقالت بعبارات ملؤها الاعترافُ والتسليمُ :

-اعترَفْنا وسلَّمْنا بدور شباب مصرَ المبارك الذي أشْعَل هذه الثورةَ العظيمةَ. وأكملَ الأبُ وقالَ:

-نعمْ يا هالةُ يا ابنتي نعترفُ ونسلِّمُ بهذا الشباب المستنير، ولكنْ لا أريدُك أن تنشَغلي بهذه الأحداث ، وتتفرغي لدراستك في مرحلة الثانوية العامة الحَرِجة، وتَلتحقي كما وعدْتنا بكلية الطب.

ردَّتْ الفتاةُ في حَماس:

- لا تخشَى يا أبي الحبيبَ، فإنني وصديقتي «مريم» في مُواظَبةٍ دائمةٍ على استذكارِ الدروسِ بجديةٍ وإصرارٍ لِكَيْ نلتحقَ معاً بكليةِ الطبِّ بإذنِ اللهِ تعالى.

رفَعَتِ الأُمُّ يَدَها إلى السماءِ وهي تدعو ربَّها قائلةً:

- إنْ شاءَ اللهُ يا هالةُ يا ابنتي إنْ شاءَ اللهُ..

وعلَّقَ الأبُ ضاحكاً:

وسيكونُ اسمي أبُو الدكتورةِ.. أبُو الدكتورةِ..

وضَحِكَ الجميعُ في تفاؤُلٍ.

وفي عصرِ هذا اليومِ - رغمَ المظاهراتِ وأصواتِ الانفجاراتِ - جَلَسَتْ «هالةُ» مَعَ صَديقتِها «مريم» في استذكارِ دُروسِهما بكُلِّ همَّةٍ، ودقَّ هاتفُ «مريم» المحمولُ، وما أنْ ردَّتْ الفتاةُ على المتحدِّثِ حتى انتفضَتْ منْ مكانِها وصرَخَتْ قائلةً:

-أخي شادي!! سأحضرُ حالاً..

وشاركَتْ «هالةُ» صديقتَها «مريمَ» القلقَ وتساءلَتْ:

- ماذا حَدَثَ يا مريمُ؟

أجابَتْ الفتاةُ وهي تَهُمُّ بالخروجِ من بيتِ صديقتِها:

- أخي شادي أُصيبَ بطلقٍ ناريٍّ في كتفِه، هذه ما أخبرَنى به صديقُهُ في كليةِ الهندسةِ «هيثمُ»، وهما الآنَ بالقُربِ من محطةِ الرَّمْلِ.

وأسرَعَتْ «مريمُ» بالجَرْيِ ومِنْ خَلْفِها وبالسرعةِ نَفْسِها صديقتُها «هالة» بَعْدَ أنْ أخَذَتْ معها بعضَ لوازمِ الإسعافاتِ الأوّليةِ من قطنٍ طبيٍّ وشاشٍ ومُطَهِّرٍ، ولم تلتفتْ «هالةُ» إلى صوتِ أُمِّها وهي

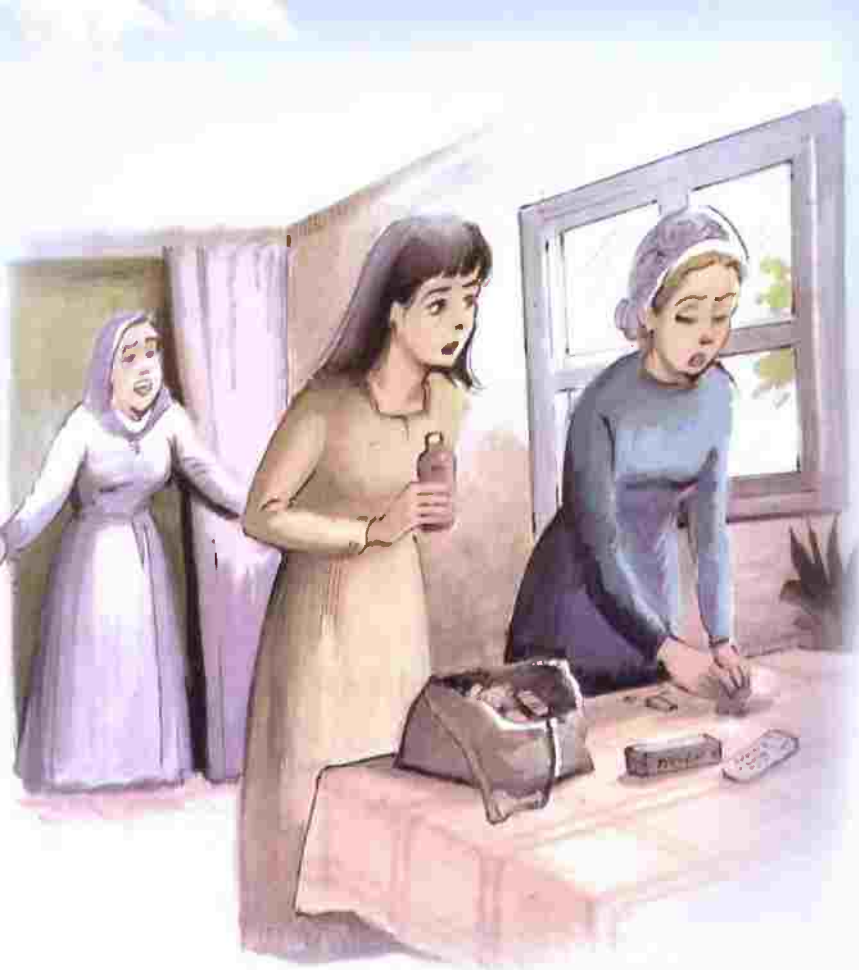

تصرخُ وتحذّرُها منَ النزول إلى الطريقِ ومخاطرِه.

وهناكَ وقريباً من ميدانِ «جامع إبراهيم» القريبِ من محطةِ الرملِ . كانتْ مئاتُ الألوفَ وهي تزأرُ وتهتفُ بسقوطِ الحاكمِ الفاسدِ وأُسرتِه وأعوانِه الفاسدين، ولم يَهْتَمْ أحدٌ من هؤلاءِ المتظاهرين

بالكمِّ الهائل من الرَّصاص الحيِّ أو المطاطيِّ المنطلق من بنادق جُنود الأمن المركزي، الذي قُدِّر عددُهم بعشرات الألوف، فقُتِلَ العشراتُ وأُصيبَ المئاتُ من هذا الشَّعب الثائر، وانفجرتْ عشراتُ القنابل المُسيِّلة للدُّموع في محاولة لتفريق هذه الحشود الغفيرة، والتي صاحتْ في تحدٍ للأجهزة الأمنية قائلة:

إذَا الشَّعبُ يوماً أرادَ الحياةَ فلابُدَّ أنْ يَستجيبَ القدرْ..

ولابُدَّ للَّيلِ أنْ يَنْجلي ولابُدَّ للقَيْد أنْ يَنْكَسِرْ..

وانطلقتْ كُلٌّ من «مريم» و«هالة» في سرعة السَّهْم المُنْطلق ناحية محطة الرمل ولم يكنْ يَهُمُّهما أصواتُ الرصاص أو انفجاراتُ القنابل المسيلة للدُّموع من حولهما.

وبالفعل وصلتا إلى «محطة الرمل»، وأخذتا تبحثان - وهما في حالة قلق وتوتر - عن المصاب «شادي» وصديقه «هيثم»، وبعد عدَّة محاولات عثرتا عليهما، واكتشفتا أنَّ إصابةَ «شادي» جاءتْ في كتفه الأيمن من رصاصة حيَّة اخترقتْ الكتفَ وتسبَّبتْ في نزف شديد للدَّم جعلتْ الشابَّ في حالة شبه فقد للوعي إلى حدٍّ ما، فهو يروحُ في غيبوبة، ثم يفيقُ قليلاً، وما يَلبثُ أن يروحَ في تلكَ الغيبوبة مرَّة أخرى.

وفي سرعة تلقائية قامت «مريم» بنزع قميص أخيها «شادي» الذي تشبَّع بالدَّم، وقامتْ مَعَ صديقتها "هالة" بتطهير الجرح بمُطهِّر طبيٍّ، فتألَّمَ المصابُ من أثرِ هذا المُطهِّر، ثُمَّ قامتا

بوضعِ كميةٍ منَ القطنِ الطبيِّ على مكانِ الجُرحِ، وتمَّ ربطُهُ بأربطةٍ منَ الشاشِ المُعَقَّمِ في محاولةٍ لوقفِ نزيفِ الدَّمِ.

وأفاقَ «شادي» من غيبوبتِه بعدَ رَبطِ جُرحَه، نظَرَ إلى أختِه «مريمَ» وابتسمَ ابتسامةً باهتةً وقالَ بصوتٍ ضَعيف:

-بالفعلِ أنتما تستحقانِ أن تلتحقا بكليةِ الطبِ.. شكراً يا دكتورة «مريم» شكراً يا دكتورة «هالة».

ابتسمَ الجميعُ لكلماتِ «شادي» رغم صعوبةِ الموقفِ، ثم قاموا بمعاوَنَةِ المُصابِ على أنْ يقومَ من رَقدَتِه على الأرضِ، وتحرَّكَ الجميعُ متجهينَ ناحيةَ بيتِ أسرةِ «هالة» الأقربَ مِن ميدانِ «محطةِ الرَّمل».

ورغم الزُحام، وحركة الثوار العفوية، والرَّصاص الذي ينطلقُ من البنادق هنا وهناك، وانفجارات القنابل المُسيلة للدُموع، استطاعَ الرفاقُ أن يقتربوا من بيت أسرة «هالة»، ولكن القدَر كانت له كلمةٌ غير مُتوَقّعة.

ففي لحظة معينة صرختْ «هالة» صرخةً مكتومةً وسقطتْ على الأرض، فلقدْ أصابتْها رصاصةٌ حيةٌ في مكان القلب تماماً، وانطلق الدَّمُ الزكي يخرُجُ مُتدَفّقاً منْ صَدر هذه الفتاة

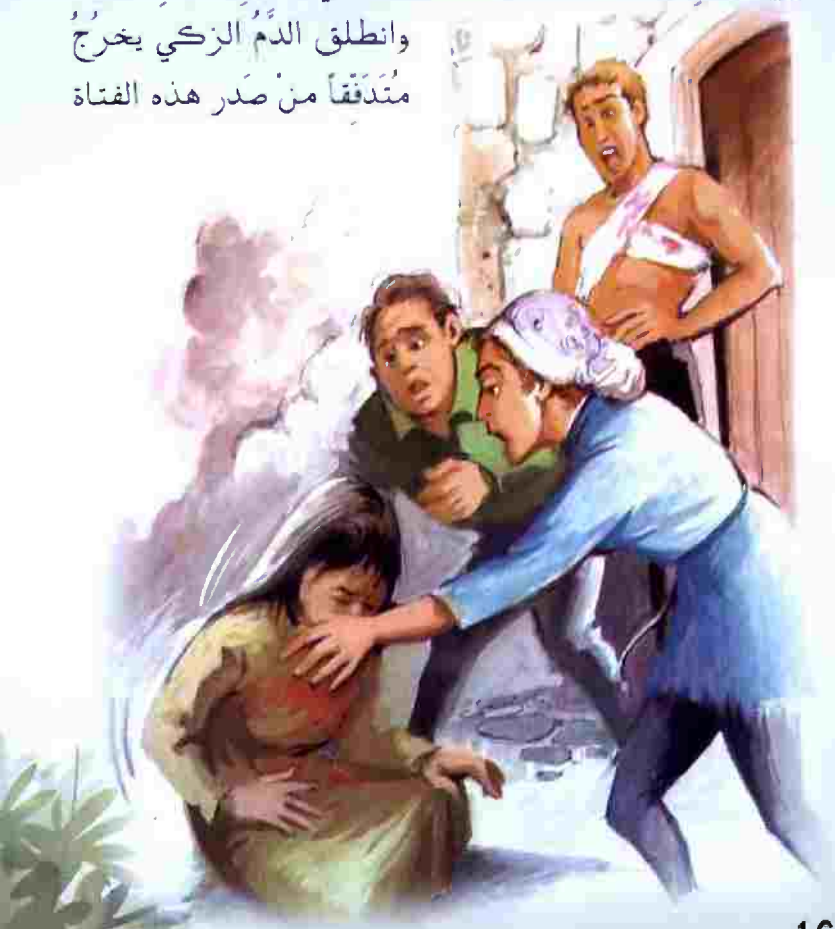

الشُجَاعَة، والتَفَّ الثلاثَةُ حَوْلَهاَ في محاولة لإنقاذها دونَ جَدْوى. وفي أثناء صرخات «مريمَ» وتساقُطِ دُمُوعها الغزيرة على صديقتها الوفيَّة، التفتَتْ «هالة» إليها وهي تَلْفِظُ أنْفاسَها الأخيرةَ، وقالتْ لها بصوت واهنٍ وشبه ابتسامة:

-كلية الطب يا مريم، لا تتنازلي عنها أبدا، اوْعديني..

قالتْ «مريم» والدُّمُوعُ ما زالتْ تَنْهَمرُ من عَيْنَيْها، وقد أدركتْ أنَّها لحظةُ الفِراقِ:

-أوْعدك يا حبيبتي ألاَّ أتنازلَ عن الالتحاقِ بكُلية الطب ولكن أرجُو منك يا حبيبتي ألاَّ تَتْرُكينا، أرجوك يا هالة لا تَتْرُكينا..

وخيَّبَتْ «هالة» رجاءَ صديقتها، وتركَتْها وذهبتْ شهيدةً إلى جَنَّةِ الخُلْد وهي تسمعُ صوْتَ أبيها يقول:

- وسيكونُ اسمي أبُو الدكتورة ..

أبُو الدكتورة ..

عمّ صابر ثائِرٌ

قَضَى «صابر أبو حسين» أكثرَ من ستينَ عاماً من عُمرِه يَعملُ في حرفةٍ واحدةٍ، لايعرفُ غيرَها، وهي «مسحُ الأحذيةِ» فمنذُ كانَ عُمرُه ثماني سنواتٍ، تعلَّمَ من أبيه هذه الحِرفةِ ، فكانَ يسيرُ معه في الشوارعِ والطرقاتِ ليمارسَ مسحَ الأحذيةِ،

وكانَ يجلسُ معَ أبيه على أرضيةِ المقاهي وعلى الأرصفةِ ليتعلمَ كيفَ يمسحُ الأحذيةَ ؟وكيفَ يكتسبُ رضاءَه لإتقانِ هذا العملِ وعندما تُوفى والدُهُ وهو في مطلعِ شبابه ظَلَّ «صابر» في هذه الحرفة لايُغيرُها، وبدأ ثمنُ مسحِ الحذاءِ من خمسةِ ملاليم، ثُمَّ أصبحَ قروشاً حتَّى وصلَ في أيَّامنا هذه إلى جُنيه كاملٍ وكانَ الدخلُ المالي منْ هذه الحرفةِ على مرِّ الأيامِ والسنينَ يكفي «عم صابر» هُو وزوجتَه «أُم سَنية» للعيشِ في حياةٍ بسيطةٍ ، بحمدُ اللهِ عليها، وعلى الستر الذى هُو وأسرتُه يعيشون عليه، خاصةً بعدَ زواجِ ابنتهما الوحيدةِ « سنية » منَ « عبده الفران » .

وعلى مدى سنينَ عاماً في مسحِ الأحذيةِ لم يكُنْ « عم صابر » يشاركُ الزَّبائنَ في أحاديثهم السياسيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ فهو يسمعُ فقط ولا يعلِّقُ عليها، خاصةً التحدُّثَ في السياسةِ .

وفي أحدِ الأيامِ الأخيرةِ سمعَ « عم صابر » وهو يمسحُ أحذيةَ الزَّبائنِ عن ثورةِ الشَّعْبِ المصري في ميدانِ التحريرِ والتي بدأتْ يومَ ٢٥ يناير عام ٢٠١١، ولأوَّلِ مرةٍ في حياته تحمَّسَ « عم صابر » وشاركَ الزبائنَ في الحديثِ عن الثورةِ التي بدأها الشبابُ الواعي المستنيرُ، واندفعَ معَهم جميعُ الشعبِ المصري بطوائفه المختلفةِ ،يطالبونَ بالحريةِ والعدالةِ والعيشِ الكريمِ .

وأحسَّ « عم صابر » أنَّ هذه الثورةَ تمسُّ بطريقةٍ مُباشرةٍ حياتَه وكرامتَه وعزَّتَه ،فلقدْ سمعَ عنْ طغيانِ حاكمِ مصرَ وأسرتِه وأفرادِ حكومتِه الذين يمتلكونَ كُلَّ شئٍ في هذا البلدِ أما هو والغالبيةُ العُظمى منَ أفرادِ الشعبِ لا يمتلكونَ حتَّى قوتَ يومِهم .

وفي أحدِ أيَّامِ الثورةِ تركَ « عم صابر» صندوقَ مسحِ الأحذيةِ في بيتِه وخرجَ

مَعَ ألوف الجماهير من الشعب المصرى إلى « ميدان التحرير» ليصرخ معهم ثائراً «الشعبُ يُريدُ إسقاطَ النظام» ، «الرحيلُ للفاسدين» ، « تعيشُ مصرُ حرةً» ، ولأول مرة يشعرُ «عم صابر» بكرامته وعزته وحلاوة مصريته ، وأنه ضمن نسيج هذا الشعب ، وأنه لايقلُ عن أي فرد من أفراد هذا البلد العظيم ، وشعر أنه عادَ شاباً قوياً يطالبُ بحقه فى أن يعيشَ حياةً كريمةً .

ونسى الرجلُ حرفتَه وصندوقه ، وأصبحَ كُلُ ما يفكرُ فيه كلُ يوم الذهابَ إلى ميدان التحرير ، والبيات فيه مع مئات الألوف حتى تتحقق مطالبهم .

ومارستْ قُواتُ الأمن أعمالَ العنف ضدَ الثائرين ، واستخدموا القنابلَ المسيلةَ للدموع، بَلْ استخدموا بعدَ ذلكَ الرصاصَ الحي فسقطَ العشراتُ شُهداءَ الحرية كما سقط المئاتُ جَرْحى، ولم يفلحْ ذلكَ مع الثوار، بلْ زادَهم تصميماً على تحقيق مطالبهم وإسقاطِ النظامِ الفاسد، واسترداد كرامتهم وحريتهم وعزتهم.

واندمج «عم صابر» تماماً مَعَ تلكَ الجماهير الرائعة، بلْ وتمنَى أنْ يكونَ منَ الشهداء، وبينما هُوَ يهتفُ بعلوِّ صوته؛ لمحَ طفلةً لا يزيدُ عمرها علَى ثلاث سنوات تبكي وتتحركُ وهيَ في حالة فزع في محاولةً للعثور على أهلها، فحملَها «عم صابر» وأخذَ يهدئُ منْ روعها ويطمئنُها أنها ستعودُ إلى أهلها، وأخذَ ينادي على هؤلاء الأهل دونَ جدوَى، وشعرَ «عم صابر» بمسئوليتهِ عَن هذه الطفلة التائهة، ومع مرور الساعات حملَها وعاد في نهاية اليوم إلى بيته، وأكدَ على زوجته «أم سنية» أنْ تهتمَ بها إلى أنْ يجدُوا أهلَها.

وعرَف «عم صابر» اسمَ الطفلة منها عندمَا سألها فقالتْ «آية»، وأخذَ الرجلُ يفكرُ في كيفية العثورِ على أهلِ «آية» دونَ أن يعرضَها للخطرِ عندمَا

يَصْحَبُها إلى «ميدانِ التحرير».

وتَفَتَّقَ ذِهْنُ الرَّجُلِ إلى فكرةٍ فنفَّذَها على الفورِ، فذهبَ إلى الأستاذ «جلال» الرسَّامِ الكبيرِ في إحْدى المجلاتِ المعروفة، والذي اعتادَ أن يمسَحَ لهُ حذاءَهُ لسنواتٍ طويلة، ذهَبَ إليهِ مُصْطَحِباً الطِّفلةَ «آية»، وطلبَ منهُ أن يَرسُمَ لها صورةً مُكَبَّرَةً بالألوانِ، وأنْ يكتبَ أسفلَ الصورةِ:

«أنَا الطفلةُ آيةَ..
أبحثُ عَنْ أبي»

وبالفعلِ رَسَمَ الفنانُ الكبيرُ صورةً للطِّفْلةِ جاءتْ شبَهاً طبْقَ الأصْلِ.

وحَمَلَ «عم صابر» الصورةَ المُكَبَّرةَ بالألوانِ لهذهِ الطِّفلةِ، وذهَبَ إلى ميدانِ التحريرِ، ويطوفُ بها كُلَّ أركانِ الميدانِ، لعلَّ الصورةَ يراها أحَدُ أفرادِ أُسْرَتِها.

وظلَّ «عم صابر» لأكثرَ من عشرة أيام يفعلُ ذلكَ، ولم ييأسْ أبداً وترسَّخَ اعتقادٌ في نفسه أنَّه سيجدُ أهلَ «آية» يوماً ما.

وجاءَ يومُ ١١ فبراير ٢٠١١م، وتزدادُ أعدادُ ألوف الشَّعب المصريِّ بكُل طوائفه، وكأنَّ «ميدانَ التحرير» هو بيتُهم الثاني، وفي لحظةٍ رائعةٍ تمَّ الإعلانُ عن سقُوط النِّظام، وتنحِّي رئيسُ هذا النظامِ الفاسد عَنْ الحكم، وانطلقتْ صيحاتُ الفرحِ والابتهاجِ بهذا الخبرِ، وسجدَتْ الجموعُ الغفيرةُ على الأرْضِ لربِّها حَمْداً وشُكراً على هذا النصرِ العظيم.

وعندما قامَ «عم صابر» من سجْدَتِه للهِ، وهوَ مازالَ يرفعُ صورةَ الطفلةِ «آية» إذا بأحَدِ الشباب يَسْأَلُهُ في لَهْفة:

- هَلْ تَعرفُ هذه الطفلةَ صاحبةَ هذهِ الصُّورَة ؟

أجابَ «عم صابر»:

- نعم أعْرِفُها، وهي عندي في بيتي.

وصرَخَ الشابُّ فرَحاً:

- الحمدُ للهِ.. الحمد للهِ..

وأخَذَ يَصرخُ منادياً:

- يا أُمَّ آية.. يا أُمَّ آية.. لقد وجَدْنا ابنَتَنا أخيراً.

وجرى الشابُّ وزوجَتُه الشابَّةُ مع عم صابر إلى البيت.

وكانَ لقاءً مُؤثِّراً للغاية، والدموعُ المنهمرةُ من العيونِ بينَ الطفلةِ «آية» وأُمِّها وأبيها، و«عم صابر» وزوجَته «أُمِّ سنية» يبكيانِ من شِدةِ الانفعالِ.

وسجدَ الجميعُ للهِ عزَّ وجلَّ لعودةِ آية إلى أسرتِها، ولعودةِ مِصرَ إلى أبنائها الشرفاء.

اللحظاتُ المُبهِرةُ

كان دائماً ساخراً من مقادير هذه الحياة، وأحوالها العَجيبة ، حيثُ تأتى على غيرِ المتوقَّع،فاسمُه على غيرِ مُسمَّى نهائياً، حيثُ يُدْعَى « سعيد مسعد أبو السعد» فهذا جَدُّهُ «أبو السعد» استُشْهِدَ في حربِ فلسطين الغَالية، أمَّا أبوه «مسعد» فقدْ ماتَ هُوَ وزوجَتُه «أُمُّ سعيد» في حادثةِ غرقِ حافلةٍ في ترعةِ الإبراهيمية عندَ إحْدى القُرى التابعةِ لمحافظةِ المنيا بالصعيد، وقد غَرقَ كُلُّ مَنْ كان فيها وعَددُهُم ستَّةٌ وخمسون رَاكباً، ولمْ يَنجُ مِنْ هذه الحادثةِ المشئومةِ سوى الطِّفلِ «سعيد» الذى لمْ يتجاوزْ عمرُه ثلاثَ سنواتٍ وبضعةَ شهورٍ .

وتربَّى هذا اليتيمُ لَدَى أسرَةِ أحدِ أقاربِ والدِه . ولكنَّ هذا القريبَ كان لا يَستطيعُ أنْ يَتحَمَّلَ أعباءَ تربيةِ «سعيد»فلَديه منَ الأبناءِ سبعةٌ،لذا بعدَ فترةٍ ليستْ طويلةً أودَعَ الطفلَ «سعيد» ملجأً للأيتامِ، رغمَ تأثُّرِه لهذا الموقفِ، ولكنَّ للضرورةِ أحكامٌ .

وفى ملجأِ الأيتامِ وجدَ الطفلُ « سعيد » عالماً آخرَ عالَماً فيه الخيرُ،وأيضاً فيهِ الشرُّ، فيهِ البَسْمَةُواطمئنانُ النَّفْسِ،وفيهِ

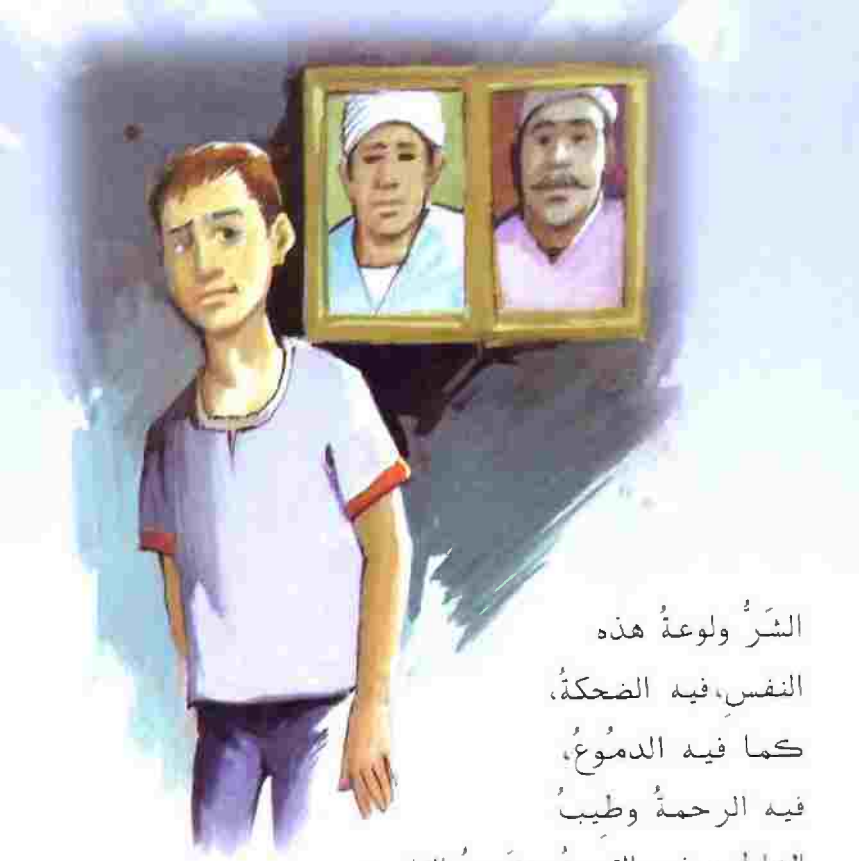

الشَرُّ ولوعةُ هذه
النفس، فيه الضحكةُ،
كما فيه الدمُوعُ،
فيه الرحمةُ وطِيبُ
الخاطِر، وفيه القسوةُ وكَسرُ القلوب .

وسارَتْ أمُورُ حياةِ « سعيد » بَيْنَ هذا وذاكَ، ولكنَّهُ حاولَ أن يتعلَّمَ ويَجْتَهِدَ عندما حانَ وقتُ الدراسة، وكانَ دائماً منَ الأوائلِ فى هذه الدراسة، وكانَ مُعَلِّمُه «سراج » يُشَجعُهُ دائماً ويؤازرُه، ويُرسِّخُ فى نفسه أنَّ الحياةَ تُعطي الطَّمُوحَ والجرئَ والشجاعَ، وأنَّ الوقتَ لا يَعُودُ للوراء وإنَّ أعظَمَ غَايَات الحياة الدنيا ليستْ المعرفةُ فقطَ ، بلْ العملُ وهكذا رسَمَ المُعَلِّمُ

« سراج » شخصيةَ الصَّبيِّ « سعيد » على المبادئِ والقيمِ ، والقدرةِ على التَقدُّمِ والنجاحِ .

واستطاعَ الفتى « سعيد » أن يَشُقَّ لَهُ طريقاً للنجاحِ، والتحقَ بكليةِ الحقوقِ وتَخَرَّج فيها بعدَ أربعِ سنواتٍ كانَ ترتيبهُ عَلَى دُفعَتِه دائماً الأوَّلَ بتقديرٍ جيدٍ جداً .

وظنَّ الشَابُ « سعيد » أنَّ الدنيا قد صَالحتُهُ، وأنَّها سَتُعوِّضُ له أيامَ الشقاءِ والألمِ، بأيامِ سعادةٍ ونجاحٍ وفلاحٍ .

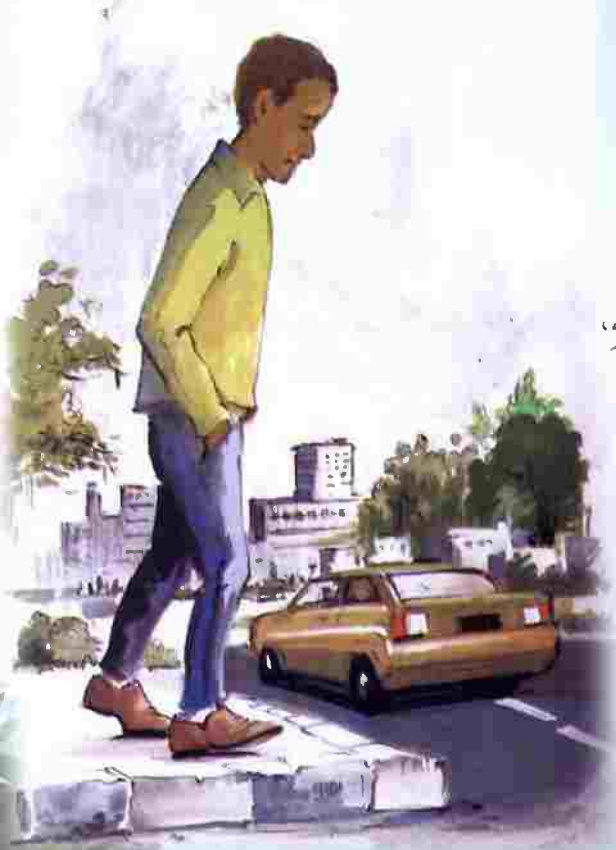

ولكنْ ظلَّت الدنيا على عنادِهَا مَعَه، فقد انْتَظَرَ أن يُعَيَّنَ في وظيفة وكيلٍ للنيابة، أو مُعيدٍ في كُلِّيَتِه، ولكنْ لم يَتَحقَّقَ هذاً أوْ ذاكَ، فلمْ يكنْ لَدَيْه « واسطةٌ » يستخدمُها في الالتحاقِ بأىٍّ مِنَ الوظيفتين مثلَ غيرِه مِنَ

الخريجينَ .

وكانَ يَسخرُ من اسمه ويقولُ لنفسه : أنا لستُ « سعيد مسعد أبو السعد » بلْ أنا « حزين يائس أبُو الغَمّ » .

وحاولَ مراراً وتكراراً في البحث عن وظيفة تناسبُ درجةَ ليسانسَ الحقوق وتَميُّزها دونَ جدْوى، وأخيراً ارتضىَ بوظيفة «كاتب حسابات» فى أحد محالِ القطاعِ الخاص ، بكادُ مُرتَّبُه الشهريُّ يكفي لسدِّ الحدْ الأدنىَ منَ ضروريات الحياة .

وصارتْ الأمُورْ على الوتيرة نفسها لعدَّة سنوات، وانطفأ الأملُ فى قلبِ الشابِّ « سعيد » وحلَّ محلَّه اليأسُ والقُنوطُ .

وفجأةً حدثَ مالمْ يكنْ فى الحُسبانِ، قامَتْ ثورةُ الشبابِ يومَ ٢٥ يناير ٢٠١١ م ، وسمعَ « سعيد » عنها فى المذياعِ ، وشاهدها فى المساءِ في تليفزيون المقْهى، وكيفْ أنَّ الشبابَ الثوارَ يُطالبون بسقوطِ النظامِ الفاسدِ الذى ظلَّ جاثماً على صدرِ البلاد سنوات طويلة .

وابتسَمَ « سعيد » لأوَّلِ مرَّة فى حياته ، ابتسامةً يحدوها الأملُ والأمانى وتمنياتٌ بمستقبلٍ واعدٍ عامرٍ بالعدالة والحُرية والكرامة ، بعدَ ماكانتْ ابتسامتُه تَطلُّ منها السُخريةُ واللَّعناتُ على الذينَ أهمَلوا الشَّعْبَ واحتياجاته، وجَعَلوا كلَّ مَباهجِ الحياة ومسرَّاتها فى حَوْزَتهم هُم فقَط ، مالاً وسُلطَةً وغَطرسةً وتكبُّراً وتعالياً.

وفي صباحِ اليومِ التالي لم يذهبْ « سعيد » إلى عملهِ كالمعتادِ ، بل ذهبَ إلى « ميدان التحرير »

فإذا به يجدُ هناكَ كُلَّ طوائفَ الشَّعْبِ المصريِّ، الكبارِ والصغارِ، والشباب، والنساء، وحتى الأطفالِ.

ولأوَّلِ مَرةٍ شعَرَ الشابُّ « سعيد » بالسعادةِ تملأُنَفْسَه، وتُمْحِي

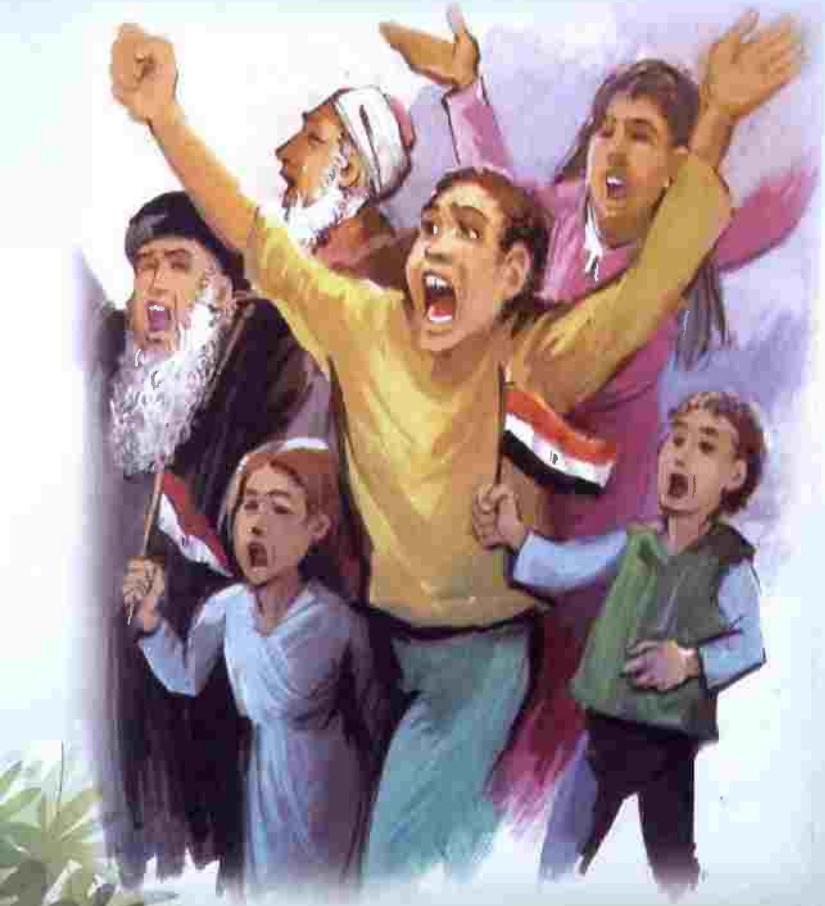

انكساراتِ اليُتْمِ والذُّلِ والظُّلْمِ التى قَهَرتْه طوالَ حياتِه ، فخلعَ مِن على كاهله رِداءِ الخنوع والخضوع والإهانات والإذلال، وحلَّ محلَّهُ رِداءَ العزَّةِ والكرامة والحرية والوطنية.

كما شعرَ لأوَّلِ مَرَّةٍ بأنَّ مصرَ هى بلدُهُ بالفعلِ وليستْ بلدَ هذه الفئةِ الباغيةِ التي طَغَتْ، وأكْثَرُوا في البلادِ الفسادَ ، والظُّلمَ والقهرَ .

وراح «سعيد» يهتفُ بِكُلِّ مالديه مِنْ قُوةٍ وطاقةٍ مَعَ الجماهيرِ وأصواتها الهادرة :

- الشَّعبُ يريدُ إسقاطَ النظامِ .
- فليرحَلْ الفسادُ والفاسدون .
- يسقط الطاغيةُ والطغاةُ .

وتَترسَخُ على وَجْهِ الشابِّ تلكَ الابتسامةُ الخالدةُ مع كُلِّ هتافٍ للثُّوارِ الأحرارِ .وعندَما أطْلَقَ رجالُ الأمنِ المركزي طلقاتِ الرَصاصِ الحيِّ،والقنابلَ المُسيِّلةَ للدُّمُوعِ على المتظاهرين. لم يُلْقِ الشابُّ بالاً، ولا أيَّ اهتمامٍ للموتِ الذى يتربصُ به فى كُلِّ خطوةٍ من خُطواته،أو كُلِّ حركةٍ مِنْ حركاته .

ولمَحَ « سعيد »فتى فى مقتبَلِ العُمْرِ وقدْ أُصيبَ فى صَدْرِه إصابةً مُباشرةً ، اندفَعَ عَلى إثْرِها الدَّمُ الطاهرُالزَّكيُّ مِنْ صَدْرِ هذا الشابِّ ، الذى وَقع على الأرضِ فاقدَ الوَعْيِ .

وبُسرعةٍ خلَعَ « سعيد » سُترَتَهُ ولَفَّ بِها الفتىَ المصابَ في محاولةٍ لتقليلِ الدَّمِ المندفِعِ منه، وحملَ مع بعضِ الشبابِ

الفتىَ المُصابَ، وتمَّ إخلاؤُه من الميدَانِ إلى مكانٍ به أطباءُ متخصصون ليتعامَلوُا مع حالاتِ الإصَابةِ التى زادَتْ عَلَى المتَوقَّعِ وعادَ «سعيد» سريعاً إلى قلبِ الميدانِ، والتحمَ مَعَ الجماهيرِ التى تُنَادى بالحريَّةِ والكَرَامةِ وهُنا تَذَكَّرَ الشابُ أنَّ سُترتَه التى لَفَّ بها الفَتىَ المُصابَ ـ كَانَتْ بها حافظةُ نقوده ، وبها بطاقَةُ إثباتِ شَخْصِيَّتِه، وبعضَ أوراقٍ تَهُمُّه، مع بضعةِ جُنَيْهَات .

ولمْ يُعِرْ الشابُ بالاً بما فقدَه ، فلقدْ وجدَ نفسهُ وشخصيتَهُ وعزتَه ومستقبلَه في هذا الميدانِ ،وهو وسطَ هذه الجماهيرِ الثائرةِ وهي تهتفُ هتافاتِ الحقِّ والكرامةِ والحياةِ الفاضلةِ .

وفي لحظةٍ ؛ شعرَ الشابُ « سعيد » بأنَّ في قلبِهِ شيءٌ منَ الألمِ ، فوضعَ يدَه على قلبِه، فإذاً بها تَغرقُ في دماءٍ غزيرةٍ وحارةٍ، وماهيَ سوى لحظاتٍ حتىَّ سقطَ على الأرضِ، ومعَ ذلكَ زادتْ ابتسامتُه الرائعةُ ،واكتسى وجهُهُ بنورٍ وضاءٍ،وسمعَ بأذنيهِ أنشودةً طالما أحبَّها :

وقبِّلْ شهيداً على أرضِها دعاً باسمِ اللهِ واستُشهدا

فنطقَ بصوتٍ هادئٍ :

باسمِ اللهِ .. اللهُ أكبرُ ، أشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ.

وانقطعتْ عن أذنيهِ أصواتُ النارِ ، وانفجارُ القنابلِ ، وأصواتُ هتافِ الثائرين ،وحلَّ محلَّها أصواتٌ ملائكيةٌ رائعةٌ ، وفي تلكَ اللحظاتِ المُبْهرَةِ رأىَ البطَلُ : جدَّه « أبو السعد» ، وأباه «مسعد»، وأمَّه «أمَّ سعيد» وهُمَ يرتدونَ ثياباً ملائكيةً رائعةً ، وعلى وجُوهِهُم ابتساماتٌ تزيدهم نوراً على نورٍ ، واصْطَحَبُوه مَعَهم في طَرِيقِهم إلى إحْدَى روضاتِ الجنةِ،وهنا فَقَط أدركَ الشهيدُ حقيقةَ أسماءِ عائلتِه .

وعندما لم يتعرف أحدٌ لأيامٍ طوالٍ على شخصيةِ جثمانِ الشهيدِ ، دُفِنَ فى إحدَى مقابرِ الشهداءِ ، وكتِبَ عليها

« مقبرةُ الشهيدِ المُبتسِمِ » .

أبِـي في الميْدان

كُنتُ دائماً فَخوراً بأبي الجراحِ الشَهيرِ الدكتورِ « فتحي الفيومي» فقدْ

كان لي المثل الأعلى والقدوة والأسوة الحسنة، لذا حرصتُ على أنْ ألتحقَ بكلية الطبِّ ، وتخصَّصْتُ في مجالِ الجراحةِ، وصرتُ وأنا في سنةِ الامتيازِ بكُليتي أتدربُ علَى كيفية إجراءِ العملياتِ الجراحيةِ، سواءً في المستشفى الجامعي،أوْ فى أثناءِ حُضوري للعملياتِ الجراحيةِ التي يقومُ بها أبي مَع فريقِ عَملِه،فتعلمتُ مِنْه الكثيرَ مِنْ معلوماتٍ ومهاراتٍ وخبرةٍ على أعلىَ مستوى.

ولا أنْسَى ماكانَ يقولُهُ لي مِنْ نصائحَ وإرشاداتٍ مثلَ :

- يا باهرُ ياولدي إنَّ عملُ الجرّاحِ في غايةِ الأهميةِ ، فها هو المريضُ

أمامكَ في حالة تخدير كاملة، وقد سلَّمَ أمرَه للهِ ثم لكَ، فاتقي اللهَ في هذا المريض واحرصْ على القيام بعملكِ بكُلِّ إتقان، متمشياً مع حديث نَبيِّنا الكريم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ "إنَّ اللهَ يُحبُّ إذا عملَ أحَدُكم عملاً أنْ يُتْقِنَهُ".

وعندما تَتَبَّعتُ حياة أبي، وجدتُها لا تخرجُ عن المحاضرات التي يلقيها على طُلَّابه في كلية الطبِّ، والعمليات الجِرَاحية التي يقومُ بها سواءً في المستشفى الجامعي أو في بعض المستشفيات الخاصة، والقيام بالأبحاث في مجال تَخَصُّصه، وحضوره للمؤتمرات خارجَ مصرَ أو داخلَها، وتأليف بعض الكُتب الطبية، أمَّا فترات الترويح فهي نادرةٌ، ولا تخرجُ عن تَتَبُّع بعض نشرات الأخبار العالمية أو المحلية، أوْ سماعه لبعض الموسيقى الكلاسيكية، أوْ بعض الأغاني القديمة لكلٍّ منْ سيدة الغناء العربي "أمُّ كلثوم"، أوْ منْ موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب.

وقامتْ ثورةُ 25 يناير المباركةُ، ثورةُ العزَّة والكرامة المصرية التي أشْعَلها شبابُ مصرَ المستنيرُ تَعْبيراً عَنْ رفضه لهذا الظُّلم الذي مسَّ عزَّتَهُ وكرَامَتَهُ وشرَفَهُ، وعَنْ تَرَدِّي الأوضاع السِّياسية والاقتصادية والاجتماعية والتَّعليمية والثَّقافية.

واندفَعْتُ مع زملائي وسْط عشرات الألوف منْ أفراد الشَّعب المصري في حماس وصدق نُريدُ أنْ نسقطَ النظامَ الذي أفسَدَ حَياتَنا لعشرات السنين.

وتصَدَّتْ قواتُ الأمْن المركزي لجموع الثَّائرين، وحدَثَتْ مواجهاتٌ عَنيفةٌ دامية بينَهما وسقَطَ المئاتُ منْ أبناء هذا الشَّعْب الحرِّ الأصيل، ما بينَ شهيد وجَريح ولمْ أجدْ بُدًّا أنا وزملائي الأطباءُ الجددُ منْ أنْ نُقيمَ مستشفى ميدانياً صَغيراً داخلَ خيمة في آخر ميدان التحرير،

لعلاجِ الإصاباتِ التي بدأتْ تتزايدُ بشكلٍ هائلٍ ومخيفٍ وأصبحتْ بالمئاتِ بدلاً من العشراتِ، منها الطفيفُ وأكثرُها الخطيرُ ونسيتُ نفسي ومعَها نسيتُ أبي وأُمي، وكان تركيزي أنا وزملائي على إسعافِ المُصابين ،وانقطعَ اتصالي بأسرتي، حتى أنَّ أُمي اتصلتْ بأبي في المستشفى وهيَ في حالةِ خوفٍ وفزعٍ وقالتْ له:

باهرُ لم يَعُدْ إلى البيتِ منذُ أمسِ يافتحي، فهو وزُملاؤُه في ميدانِ التحريرِ وأخشى ما أخشاهُ أن يكونَ قد حدثَ مكروهٌ له..

وتركَ أبي كُلَّ ما كانَ يَشغَلُه وكلَّفَ به آخرون، وتوجَّهَ على الفورِ إلى ميدانِ التحريرِ للبحثِ عني وسطَ الملايينِ الهادرة، وهالَهُ ما رأى منْ ثوارِ مصرَ الشرفاءِ وهُمْ يَهتفونَ منْ صميمِ قلوبِهم:

"الشَّعبُ يُريدُ أنْ يُسقطَ النظامُ".

ونسيَ أبي وقارَهُ الأكاديمي، ورزانةَ شخصيةِ العالمِ، واندسَّ

يهتفُ مع الجماهير وأصواتُهم القويةُ تُلهبُ كلَّ النفوس وكُلَّ المشاعرَ.
وفي لحظةٍ ما لمَحَ أبي خيمةَ الإسعاف، فأقبلَ عَلَيْها ورآني أنا، وزملائي مُنْهمكينَ في إسعاف بعض المصابينَ، فنادى عليَّ قائلاً: باهر.. ولدي..
فالتفتُ إليه، فأخذَني بينَ ذراعَيه واحتَضنني، وهو يتمتمُ بصوتٍ خافضٍ:
-الحمدُ للّه على سلامَتكَ يا ولدي.. الحمدُ للّه..
ولأولِ مرَّة في حياتي أشاهدُ قطراتٍ منَ الدُّموع تسقُطُ منْ عينيَّ أبي، فأخذتُ أُربّتُ على كتفِه لأُشعرَهُ بأنيَ بخيرٍ، وأنني ممتنٌ له حضورَه إلى الميدانِ والبحثِ عنّي.
ووجدَني أبي وأنا في حالةِ إجهادٍ وأعياءٍ شديدين، حيثُ إنني مُنْذُ أمسِ لم أذُقْ النومَ أو الراحةَ،أو الطعامَ إلاّ القليل.
فأشارَ أبي أنْ أنالَ قسْطاً منَ الرَّاحةِ والنَّوم، وأنَّه سيقومُ بدلاً منّي بواجباتِ الإسعاف،وأرسَلَ زميلاً لي إلى بيتنا ليُطَمْئنَ أُمّي علينَا نحنُ الاثنين.
وبالفعلِ مَا أنْ رَقدتُ على الأرضِ حتَّى رُحْتُ في سُباتٍ عميقٍ دامَ لمدةِ ساعات، وما أن أفَقتُ منْ نَومي لاحظتُ عَدَمَ وجودِ أبي في خيمةِ الإسعاف، وعندما سألتُ عنه قالوا لي إنَّهُ ذهَبَ إلى المكانِ القريبِ منَ الاشتباكاتِ بين الثوارِ ورجالِ الأمنِ المركزي ليساعدَ في نقلِ المصابين إلى الخَيمة.
وما هيَ سوى لحظاتٍ حتَّى أقبلَ أبي وأحدُ زُملائي وهما يحملانِ شاباً صغيراً لا يزيدُ عُمْرُهُ على أربعةَ عشرَ عاماً، وقدْ أُصيبَ في رأسِه إصابةٍ ليستْ بخطيرةٍ ولكنَّ الدمَ ينزفُ من جُرحِه، وقامَ أبي بالإسعافاتِ اللأزمةِ لهَذا الفتىَ الصغيرِ وتمَّ رَبْطُ رأسِه برباطٍ من الشاشِ المعقَّمِ، ودارَ الحوارُ التالي بينَ أبي والفتىَ:
-ما اسمُك يا ولدي؟
-اسمي حسن.. حسن اسماعيل.

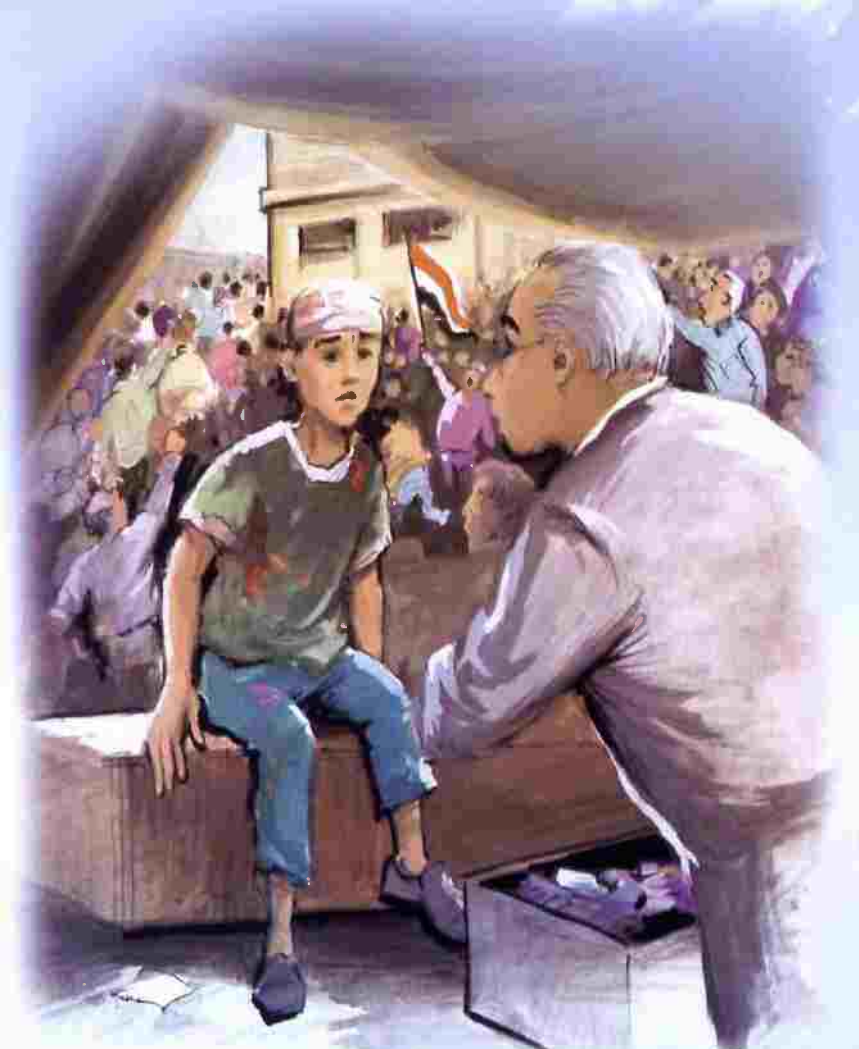

- في أىِ مرحلةٍ تعليميةٍ أنتَ يا حسنُ ؟
- أنَا تلميذُ في السنةِ الثانيةِ منَ المرحلةِ الإعداديةِ.
- ولكنْ يا ولدِي أنتَ صغيرُ السنِّ، ويجب ألاَّ تُقْحِمَ نفسَكَ في هذهِ المصادماتِ الخطيرةِ.

قال الفتى والدمعُ يملأُ عينيه :

-بالأمسِ استُشهدَ أخي الأكبرُ "يوسُف" برصاصِ أفرادِ الأمنِ المركزي، فَجِئتُ اليومَ للأخذِ بالثأرِ لَهُ، ولكلِّ المصريينَ الذينَ استُشهِدُوا مِنْ أجلِ كرامةِ وعزةِ كلِّ الشعبِ المصري.

واحتضنَ أبي هذا البطلَ الصغيرَ، وقدَّرَ فيهِ وطنيتهِ ،وإخلاصَهُ لبلدهِ وأهلِ بلدهِ.

وانطلَقَ الفتى "حسن إسماعيل" منْ خيمةِ الإسعافِ إلى حيثُ المصادماتِ الخطيرةِ ولم يلتفتْ إلى نداءاتِ أبيهِ، وتحذيراتهِ بأنَّ جُرْحَه عُرْضةٌ لنزفِ الدَّمِ مرةً أُخرى.

واختَفى الفتى وسْطَ ألوفِ المتظاهرينَ وهُمْ يصرخونَ: "الشَّعبُ يريدُ إسقاطَ النِّظامِ".

ولم تمضِ سوى نصفِ ساعةٍ، حتَّى أقبلَ مجموعةٌ منَ الشبابِ وهم يحملونَ الفتى "حسن إسماعيل" وقد أُصابتْه رصاصةٌ في صدرِهِ مباشرةً إصابةً قاتلةً.

وقبلَ أن يَرْحَلَ البطلُ الصغيرُ عن دنيانا قال لأبي بصوتٍ واهنٍ:

-الحمدُ للهِ يا دكتورُ.. أخي يوسفُ لم يمُتْ، إنَّه معي الآنَ، يأخذُ بيدي في فرحٍ وسرورٍ، أكملوا المسيرةَ يا دكتور.. أكملوا المسيرةَ.

وأغمضَ الفتى عينَيه، ووجهَه يُشِعُّ نوراً ربانياً، وضياءً ليسَ لَهُ مثيلٌ..

ووجدتُ أبي يبكي وهو يقولُ:

"أشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ"

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ: "ولا تحْسَبنَّ الذينَ قُتِلوا في سبيلِ اللهِ أمْواتاً بلْ أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرْزقون"صدق اللهُ العظيمُ (سورة آل عمران، آية ١٦٩)

ومضتْ الأيامُ العَصيبةُ، والثورةُ العظيمةُ مستمرةٌ، وأقسمَ أبي ألاَّ يغادرَ ميدانَ التحريرِ حتى تَتحققَ مطالبُ الشَّعْبِ المصري.

وبقيتُ مع أبي العديدَ منَ الأيامِ نقومُ بواجباتِ إسعافِ المصابينَ حتى سقطَ النظامُ الفاسدُ، وتحققَ للثوارِ مطالبهم، وهنا غادرتُ أنا وأبي ميدانَ التحريرِ، وذهبنا إلى بيتِنا، ولاحظتُ عندَ عودتِنا أنَّ أبي يُتمتِمُ بصوتٍ خافضٍ قائلاً:

"إذَا الشَّعْبُ يَوْماً أرَادَ الحيَاةَ

فَلا بُدَّ أنْ يَستَجِيبَ القدَرُ

ولا بُدَّ لِلَّيلِ أنْ يَنجَلِي

ولا بُدَّ للقَيدِ أنْ يَنكَسِرَ"

اللهُ أكبرُ يامصرُ اللهُ أكبرُ

يابلادَنا العزيزةَ